العمل الفدائي والمقاومة الشعبية

يزداد وضع العمل الفدائي والمقاومة الشعبية في البلاد العربية دقة وخطورة للمستقبل ، وتهمين عليه القوى الحاكمة من داخله ومن خارجه يوماً بعد يوم هيمنةً أكبر .. وكلما ازداد وضع العمل الفدائي دقة وخطورة ، ازداد سؤال بعض القراء عنه ، ورغبتهم في سماع رأينا فيه من حيث المبدأ والأساس .

والذين قرأوا الأعداد السابقة من (الرائد) يستطيعون أن يستخلصوا بكل بساطة رأينا وموقفنا الواضح البين الذي سجلناه عدداً من المرات في عدد من المناسبات

وقبل صدور (الرائد) عبَّرنا عن هذا الرأي باستمرار بما أصدرناه من بيانات في هذا الموضوع ، ومن ذلــك هــذا البيان الذي صدر في ١٦ ربيع الآخر ١٣٨٨هـ - ١٢ تموز/يوليو ١٩٦٨م ، والذي نجد في التذكير به ، وإعادة نشره بنصه الحرفي ، فائدة للقضية الفلسطينية والعمل الفدائي ، وإسهاماً في الإجابة على أسئلة الإخوة القراء

لقد كان من أهم أسباب هزيمة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م عزلُ الشعب في البلاد العربية وتعبيدُه ، وإهمالُ إعداده مادياً ومعنوياً لممارسة حقه ، وواجبه في معركة المصير ، وقتلُ روح الجهاد فيه بمختلف الوسائل .

ولقد كان من أهم أسباب النكبة الأولى سنة ١٩٤٨م عزلُ الشعب في فلسطين عن قــضيته وقــضية العــرب والمسلمين ، وإقصاءُ رجاله ، وحلُّ منظماته ، وسحب الأمور من يديه ، وفرض الوصاية عليه وعلى القضية كلها من قبل الجامعة العربية حتى انتهت الأمور إلى النكبة

ولقد صمد إخواننا الفلسطينيون قبل ذلك للصهيونية العالمية والاستعمار البريطاني ثلاثين عاماً لم يخنعوا فيهــا و لم يستسلموا لما تريده الصهيونية والاستعمار ، وقاوموا بإمكاناتهم المحدودة هذه القوى الغاشمة أشد مقاومة ، وأوشــكوا أن يسيطروا على فلسطين كلها في ثوراتهم المجيدة سنة ١٩٣٦م و٣٧ و٣٨ و٣٩ ، وقدموا ألوف الشهداء ، وألوف الجرحى ، و لم يزلزلهم نسف البيوت ، وتهديم الأحياء والقرى ، وخسارة الأموال

وبعد نكبة (٤٨) تحوّلَ معظم الفلسطينيين إلى (لاجئين) ، وازداد عزلُهم وعزلُ الشعب العربي كله عــن التــأثير الحقيقي في القضية .. حتى كانت النكبةُ الأكبر في الخامس من حزيران/يونيو وما تلاه من أيام ثمرةً لهذا وغــيره مــن الأخطاء والانحرافات والخيانات ..

وقبل الخامس من حزيران/يونيو ، وفي جوّ من الإحساس العميق بالخطر المحدق ، والرؤية الصادقة لحقائق الأمـــور من وراء أستار التضليل ، والوعي القوي لوضع القضية وتراجعها المستمر على كل صعيد ، وعقم الأساليب المتبعة في معالجتها ، وعدم جديتها .. في هذا الجو ولد العمل الفدائي ، وبدأ الطريق الصحيح في العمل ، منطلقاً مـــن إيمـــان الشعب العميق ، معبراً عن إرادته التي لا تقبل المساوماتِ والخداعَ السياسي ، وفُتِحت مرة أخرى صـــفحةُ الجهـــاد والاستشهاد رغم كل العقبات والتحديات

ونمت المقاومة المسلحة في الأرض المحتلة بعد الخامس من حزيران/يونيو ، وأصبحت بعد الهزيمـــة الرسميـــة رمـــز الصمود والأمل ، وصيحة الكفاح في وجه التخاذل والاستسلام ، والطريق الوحيد لاسترداد الحق المسلوب ، والوطن المغصوب ، وحماية الأمة والمستقبل من الانحلال والضياع .

ومقاومةُ العدوِّ المغتصب ، ومجاهدتُه بكل ما نملك أمر لا بد منه ..

إنّ عقيدتنا التي نؤمن بها تجعل الجهاد في سبيل الله إذا دخل العدوُّ أرضنا فرض عين على الرجل والمرأة والكـــبير والصغير ، وتُحَوِّلُ الشعبَ كلَّه إلى شعب مقاتل .. وهكذا يجب أن ينمو العمل الفدائي وتنمو المقاومة حتى تستوعب كلّ فرد قادر ، وكلّ طاقة موجودة ، ضمن مخطط شامل للتحرير يرتفع إلى مستوى القضية ومـــستوى الواجـــب ، ويستخرج إمكانات العرب والمسلمين ، ويستفيد من كلّ قوّة يمكن الاستفادة منها في هذه الدنيا

وعندما يكون الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ تأخذ القضية وضعها السويّ على الصعيد الوطني ، والصعيد الإنساني ، وترتفع على كلّ هوى شخصي أو مطلب دنيويّ صغير ، ويكون أبناؤها بالله أكبر من كلّ قوّة ، ولا يطلبـــون إلاّ النصر أو الجنة ، وتسير القضية محكومة في مراحلها كلها بقواعد النصر ومبادئ الخلق .. فالقتال في سبيل الله قتال في سبيل الحق ضد الباطل ، والعدل ضد الظلم ، والخير ضد الشر

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الـــشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦]

وفي هذا القتال المشروع يلتقي الموقف الوطني بالموقف الإنساني والخلقي ، ويكون الدفاع عن حقنـــا في أرضـــنا دفاعاً عن الحق في كل مكان ، وعن القيم العليا التي يجب أن تسود وأن ترخص من أجلها التضحيات

وإذا كان إخواننا الفلسطينيون الآن يشكلون طليعة الفداء ، والمادة الأساسية للمقاومة الشعبية في الأرض المحتلة ، فواجب العرب والمسلمين أن يغذوا هذه المقاومة ويعززوها ويعينوها على النماء السريع السليم ، وأن يبعدوها عـــن المآرب الشخصية والخلافات الحزبية والمذهبية ، والمنازعات العربية والدولية ، ويحموها مـــن أيّ اســـتغلال كـــان ، ويوفروا لها أسباب الوقاية من كل ما ينحرف بها أو يعيقها عن سيرها الحثيث .. وأن يستعدوا أعظم استعداد لمواجهة

كلّ التطورات ، ولا بدّ أن تكون هناك تطورات .. وإذا كان إخواننا الفلسطينيون يشكلون الطليعة -كما قــدمت- فليس معنى ذلك أن المعركة هي معركتهم وحدهم ، فالمعركة معركة العرب والمسلمين جميعاً ؛ معركــة عقيــدتهم ، ومعركة مصيرهم إلى حد كبير ..

والعمل الفدائي والمقاومة الشعبية في مواجهتها لإسرائيل والصهيونية العالمية ، والدول المؤيّدة للباطــل ، ليــست بديلاً للمواجهة النظامية ، ولا يمكن أن تغني عنها ، ولكنها تتكامل معها ، وتهيّئ لها ، وتشكل ركناً أساسياً من أهم أركان معركة المستقبل .. فلا بدّ من المواجهة النظامية ، ومن الإعداد الحقيقي لها ، بل إنّ العمــل الفــدائي ونمــوّه والدعم الرسمي والشعبي الجادّ له لا بدّ أن يؤدي إلى مجابهة نظامية

ومن أكبر الخدع والخيانات أن يُتَّخذ من العمل الفدائي والمقاومة الشعبية ذريعة للتنصل من مــسؤوليات قــضية العرب والمسلمين وقضية الحق في فلسطين ، وأن تلقى أعباؤها وتبعاتها على الفلسطينيين وحدهم ، وأن يصوّر الأمــر كأنّ العمل الفدائي وحده قادر على حلّ الموضوع ، ويُكتَفى بمساعدات شكلية لا تؤدي إلى الصدام مع إســرائيل ، ريثما يخف ضغط الرأي العام العربي ، والإسلامي ، وتنفض اليد نهائياً من الموضوع .. هذا إن لم تفــرض التــسوية السلمية -إذا تمت- على الجهات الرسمية أن تقف ضد العمل الفدائي والمقاومة الشعبية ، وتحاربه حرباً معلنةً أو خفيّة ، وتعمل على خنقه وتصفيته ، ما لم ينــزل على رأيها وحكمها ، ويتخلّ عن هدف التحرير ، ويترك طريق النضال ، ويسلك سبيل المساومات ، ويقبل بأنصاف الحلول ، بل بالأرباع والأعشار ، وربّما أعشار الأعشار

لا بد إذن من التأكيد على أن قضية فلسطين مع وجود العمل الفدائي والمقاومة الشعبية هــي قــضية العــرب والمسلمين جميعاً حكوماتٍ وشعوباً ، ويجب أن يتكاتف الجميع في حمل التبعات ، ومواجهة المــسؤوليات ، والقيــام بالواجب دون تهرب أو مداورة أو تلكؤ أو تردد ، وأن يتقدموا إلى المعركة بقلوب خالصة لله عزَّ وجلَّ واثقة بنصره الأكيد

﴿ ... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الــصَّلاةَ وَآتَــوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١]